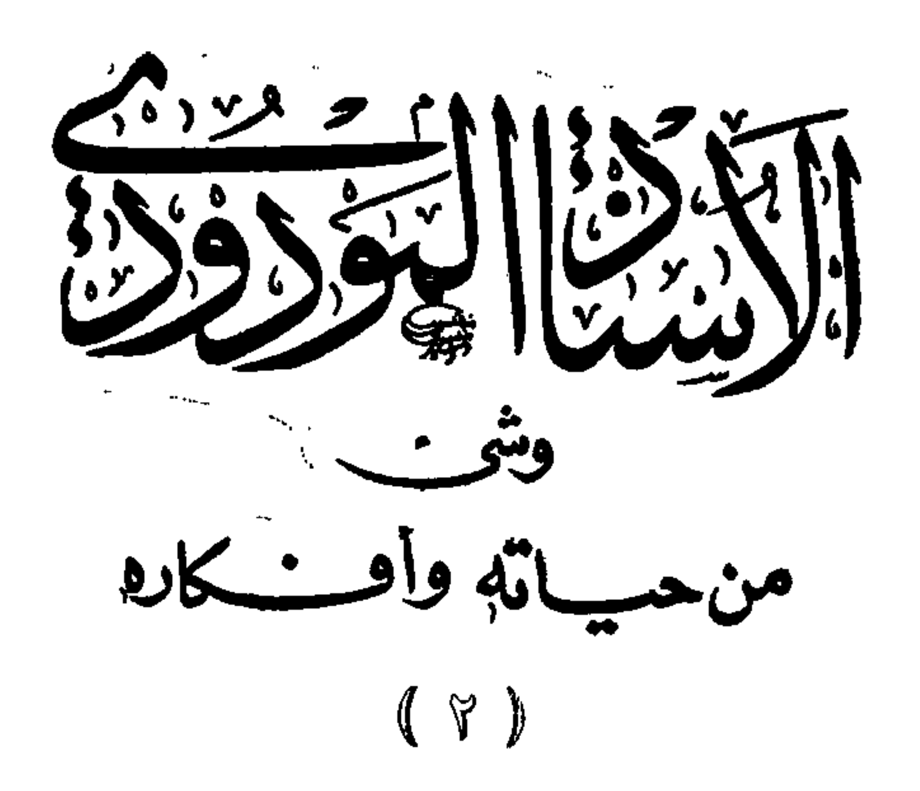


بقلم

المحدث الكبير علامة العصر فضيلة الشيخ

محمد يوسف البنوري

حفظه الله

مدير المدرسة العربية الإسلامية وشيخ الحديث بها

ورئيس وفاق المدارس العربية بباكستان

وأمير مجلس تحفظ ختم النبوة

قام بطبعه



كراتشي رقم ٥ باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القوى القاهر ، المنتقم الغافر ، الأول والآخر ، والباطن والظاهر ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، من يستحق المحامد والمجد الباهر ، وأشهد أن سيدنا محمد المبعوث بأعلى المفاخر وأسنى المآثر ؛ فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أولى المعالى والفضل السائر ، وعلى من اهتدى بهديهم الطاهر ، ومن ذب عن الدين بالألسنة والأقلام والمحابر ، على رءوس الأشهاد وعلى المنائر والمنابر ، ما انهل كل صوب ماطر ، وما تحلق فى جو السماء كل طائر .

أما بعد ؛ فكنت قدمت للأمة العربية وعلمائها جزءاً لطيفاً ليتفكر فيه كل من يهمه أمر دينه من أولى الألباب والأفكار ، وممن يقدر فى سويداوات الخواطر الحق والصواب ، فى رجل غلا فيه رجال بل أعلام ، فى رجل حاد عن الصراط السوى ووصل إلى الإلحاد أو كاد ؛ فضلت به عقول وأحلام من أعيان وأعلام فى بلاد الإسلام ، ولم ينتبهوا إلى ما بثه فى تآليفه ومقالاته من ضلال وزيغ وجهل وإلحاد ، وأصبحت فتنة عظيمة انخدع بها طائفة كثيرة من العوام ، الذين صلتهم بعلوم الدين فى غاية الضعف والوهن .

فقدمت البيان وكشفت القناع بعد ما استخرت الله سبحانه وتعالى ، وكنت برهة من الدهر تعوقنى طبيعتى عن الكتابة فى الموضوع نظراً إلى بعض الفوائد للجيل الجديد ، الذين أصبحوا من الدين على شاطئ بعيد وجرف منهار ، وتارة يصدنى بعض المخلصين بأن الظروف غير ملائمة وقد قام به رجال فضلاء وذوو ألسنة حداد من مصاقع الخطباء : فأبدوا على رءوس المنائر والمنابر من أفكاره الشاذة ، التى خرجت عن الجادة ، ومن أجل هذا أصبحت منذ ثلاثين عاماً أتقدم وأتأخر ، وأحجم عن التقدم للمؤاخذة والنقد ، حتى قرب الرحيل إلى ديار الآخرة وكان الأمر كما قيل :

قرب الرحيل إلى ديار الآخرة
فاجعل إلهى خير عمرى آخره

وكذلك صاحبنا لو سبقنا إلى رحيل الآخرة ، ثم نقوم بالنقد عليه بعد أن قضى نحبه لقيل : سكتوا فى حياته عجزاً أو جهلاً ونطقوا بعد رحيله ؛ فقاموا ينهشون عليه جدثه، وعسى أن يكون النقد والمؤاخذة فى آخر حياته أنفع للتروى وكبح الشكيمة ، وربما يوفق إلى الإنابة والرجوع ، حيث إن إدبار الدنيا وإقبال الآخرة خير وازع وأحسن رادع ، وقرب الأجل أقوى حافز إلى التوبة والإنابة؛فقمت بعد الاستخارات وتفكير طويل إلى الانتقاد ذباً عن حريم الدين ، ابتغاء لوجه الله الكريم ، دون أى جنوح إلى مطامح الدنيا ومطامعها ، وكفى بالمرأ شقاوة جاوز سنه سبعين عاماً ولا يزعه وازع عن سخط الله تعالى .

ثم أنا أدرى أن جماعتـــه وحزبه لهم أموال طائلة فى البلاد وخارجها ، ولهم وسائل شتى من الجرائد والمجلات ، وأقلام ومحابر ، ولهم حماة ورعاة ، ولهم إدارات وجمعيات ، وعندهم من تنظيم للدعاية ما يدهش الحليم حيراناً ، وكم من باكستانى وهندى وعربى ، وكم مـن جاهل صحفى أصبح مغروراً بسمتهم لأجل دعايتهم ، وبعض منهم ممن يتظاهر بشتى المظاهر ليس له هم إلا المال والجاه ، يطوف فى البلاد لجمع الأموال بأسماء كاذبة ما لها حقيقـــة بكل زور وتلبيس لا يخشى الله ولا يوم الحساب ، ولا يخاف المقام عند رب الأرباب ؛ فأمثال هؤلاء يفتحون أفواههم بالازدراء ، وأقلامهم بالافتراء ، عاملهم الله بعدلـه أوهداهم إلى الحق بفضلـــه « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ولله در القائل :

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجـــةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

وبالجملـة : استعجلت فى الأمر وأستعجل راجياً مـن الله أن يوفقنى لإنجاز ما أردت ، وأن يطيل حياة الرجل لإبلاغ ما قصدت ؛ فربمـا يرعوى ويهتدى ، وحسبى سعادةً أن أكون وسيلةً لاهتدائه إلى الصواب ، وخروجه عن ضلاله المحير لأولى الألباب ، أو ينتبه الذين انخدعوا ببراعته وكماله ، ويتبرءوا من زيغه وضلاله ، « والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

آراؤه المشار اليها سابقاً

يلائم أن نلخص الأفكار التى قدمتها فى العدد الأول من " الأستاذ المودودى وشئ من حياته وأفكاره " وكانت عشرة فهاك تلخيصها :

الأول : تحريفـه فى معانى الله ، والرب ، والعبادة ، والدين ، فى رسالته المفردة ببيانها ، وأصبح ذلك التحريف رأس كل ضلال وزيغ ، مدعياً أنـه خفى على الأمة معانيها ، وبخفائها خفى عليهم ثلاثة أرباع الدين بل أكثر ، بل خفيت عليهم روح الإسلام والدين ، فعل ذلك لكى يتسنى له ما يحاول من تأويل وتحريف مدعياً أن العبادات المعروفة من صلاة وصيام وصدقة وحج كلها وسائل للمقصد الأسنى وهو الحكومـة الإلهية ، ودعواه هذه فى غايـة الخطر والبعد عن الحق ، فإنـه يمكن أن يستنتج أحد منها أنه إذا حصلت الحكومة فإذن لا حاجة إلى القيام بهذه العبادات حيث حصل المقصود .

الثانى : أن مقاصد الإسلام الأساسية صنف من العقائد كالتوحيد والرسالة وغيرهما لا تتغير ، وصنف تتغير دائماً حسب المصالح والضرورات وهو ما عدا العقائد ، فجاء فيها الصلاة والصوم والزكاة والحج ، ويزعم مدعياً أن له نظائر أكثر من أن تحصى ، ومنها : المساواة بين أفراد الشعوب قام بـه رسول الله ﷺ طول حياته ، ولكن ترك ﷺ فى آخر حياته

هذا الأصل القرآنى وأعلن أن الأئمة من قريش ، وهذا من أبشع الدعاوى يمكن أن يستثمر منها أحد للقضاء على جميع العبادات أو التعديل فيها كماً وكيفاً ، وما إلى ذلك من نتائج خطرة .

الثالث : أن العصمة للنبوة غير ذاتية وغير مستمرة ، وقد تنفك عن الأنبياء هذه العصمة لإبداء البشرية وعند ذلك تصدر منهم أخطاء وزلات وذنوب ، وبشاعة هذه الضابطة جلية واضحة تستغنى عن البيان ؛ وعصمة الأنبياء بعد النبوة كلمة اتفاق بين الأمة جمعاء ، وربما يكون هذا معتقد الشيعة بأن العصمة من خواص الإمامة .

الرابع : أن الدين فى الحقيقة إقامة الحكومة ، والعبادات وسيلة مطلوبة لأجلها ، فرضت على العباد للإعداد لأمر عظيم وهو الحكومة الإلهية ؛ وبشاعته جلية ، لأن العبادة خلق لأجلها الإنسان .

الخامس : أنه فسر الهدى فى قوله تعالى : « أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » الآية ، بأن المراد من الهدى نظام صالح يعيش فيه المرأ من فرد وجماعة ، وتدبير المملكة والعلاقات الدولية وغيرها ، وفسر الدين بأن يدين الناس للسلطة العليا ، وقال : وهو قريب مترادف لما يؤديه كلمة " اسٹیٹ " بالإنجليزية إلخ ، وفساده واضح ؛ فقد قلب الأمر حيث إن السلطة

العليا مطلوبة لإصلاح العباد والبلاد ، لا أن العبادات وسيلة للاقتدار .

السادس : ما ملخصه : أن أهل مكة والبيت الحرام قد عادوا إلى الجاهلية الأولى ، وفقدوا كل خير دينى أو خلقى أو إسلامى ، والحجاج إذا شاهـدوا ذلك رجعوا إلى بلادهم خاسرين .

السابع : أن رسول الله ﷺ قد أخطأ فى رأيه فى خروج الدجال حيث إن هذه القرون المتطاولة كذبته فلم يخرج ، وظاهر أن عقيدة خروج الدجال قبل الساعة مقطوع بها مثل عقيدة نزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ؛ فقوله هذا يكاد يكون كفراً ، والحديث متواتر ليس من الآحاد .

الثامن : رأيه فى الحكومة السعودية بأنها على غير نظام الإسلام ، لم يصرح باسمها ولكن فى غضون كلامه وثناياه نقدها وحطّ من قدرها فى كتابه " تجديد وإحياء دين " (ص - ٢٠) .

التاسع : قوله بأن سيدنا عثمان الخليفـة الراشد قد ولى المناصب الكبيرة من كانوا طلقاء ولم تكن فيهم كفاءة للقيادة ؛ فظهر الاختلال فى عهده .

العاشر : رأيه فى أصحاب رسول الله ﷺ فى دستور جماعته بأن الصحابة ومن عداهم ومن بعدهم كلهم سواء فى النقد والرد غير الرسول ﷺ ؛ فليست الصحابة معياراً للحق ، وأنت

تعلم أن أمر رسول الله ﷺ إلى الاتباع بهديهم وسنتهم فى الدين واضح لاينتطح فيــه عنزان ؛ فهذه عشرة أمور أشرت إليها الآن ، وبحثت عنها ونقدتها فى العدد الأول ببحث موجز من غير بسط القول اقتناعاً بفهم أرباب الفضل .

وأفردت هــذا العدد الثانى لتقديم نمــاذج من تفسيره " تفهيم القرآن " وشئ من آرائه الضالة فى حق الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، ومن بعض تآليفه الأخرى نماذج قليلة ما يدل على سوء معتقده فى بعض الأمور ، ومنها ما يدل على جهله وسوء فهمــه فى كثير من الأشياء ، وعلى عدم كفاءته العلمية للخوض فى هذه الغمار ، ولا السباحة فى هذه البحار ، وبالأسف الشديد يقال : إن نفسه الطموح تحاول أن تكون بارعةً فى كل شئ ، وأن ينقاد الناس جميعاً لزعامته ديناً وسياسةً ، ويا ليت لو كان أهلاً لذلك ، رجل صحافى يجيد الإنشاء باللغة الأردوية فحسب ، لم يتلق العلوم من أهلها ولااستفاد من صحبة أهل العلم ومجالسهم ومع هذا يحاول أن يحلق فى سماء العلم ، ويطير طيراناً لايلحقه أحد فى العالمين من الأولين والآخرين ، إذا دخل فى مسائل الدين يزعم أنه قصر فيه مثل ابن دقيق العيد الإمام ، وابن تيمية شيخ الإسلام ، وإذا دخل فى السياسية يدعى أنه قصر فيها مثل الخليفة عثمان وعمر بن عبد العزيز وملوك بنى أمية جميعاً وخلفاء بنى العباس أجمعين ومن بعدهم من الغابرين (ا) وإذا

(ا) ستأتى منها نظائر وأمثلة فى هذه الرسالة .

خاض فى بحث التقوى ومخافة الله رأى دونه داود وسليمان ويونس وموسى حتى سيدنا سيد العالمين محمداً صلى الله عليه وعليهم وسلم؛ فيا للأسف ما لهذه الفخفخة والبذخ والإعجاب .

لأى رزايا الدهر فيه نعاتب وأىّ رزاياه بوتر نطالب
مصائب شتى جمعت فى مصيبة ولم يكفها حتى قفتها مصائب

ومن المؤسف المؤلم أن حزبه يقرءون له هذه المستبشعات التى لاتستساغ ، ينقد الأنبياء وأمهات المؤمنين والصحابة والتابعين ولايحرّك لهم ساكناً ولاينبض لهم عرق ، يستمعون وينصتون ، وإذا نقد على كبيرهم وزعيمهم الأستاذ المودودى يستشيطون غيظاً ويأخذون يصيحون وينعقون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ فوالله قد بلغ السيل الزبى ، وبلغ الحزام الطبيين ، ولولا ذلك لما كنت أحب أن أشتغل بإبداء هفواته وإظهار ضلالاته ؛ فإن الوقت أهم وأغلى ، والفرصة تكاد تضيع ، وكثير من مسائل الدين أحوج إلى الخدمة من جدباء إلى مزنة وطفاء ، بيد أن حفظ سياج الدين من أمثال تلك السيول الجارفة أقدم من كل خدمة، وإن دفع المضرة أقدم من جلب المنفعة، وإن الفتنة طغت وبغت ، وفتنة الأقلام الجاهلة جاوزت مجاريها .

وهذا التفسير (أى تفهيم القرآن) يغلون فيه بأنه تفسير لا يضاهيه تفسير ، وأصبح فيه المفسر سباق غايات ، وأخذ يترجم إلى اللغة العربية ، وإلى اللغة الإنجليزية ، والجيل الجديد فى الأمة العربية على شاطئ بعيد من علوم الدين ؛ فإذا كان

مناط فهم القرآن على مثل هذا التفسير كيف تكون عواقب فهم الدين ونتائجه وآثاره ؟ ! ثم إذا ضم معه ادعاء كاذب من حزبه بأنه فاق المفسرين وازدراء بأرباب التفسير والسلف الصالحين ؛ فقل لى بالله : ما يكون حال شباب المسلمين الجاهلين المغرورين بمثل هذه التفاسير ؟ والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين ؛ فكان السكوت فى مثله جريمة لاتنكر ، ويكاد يكون معصية لاتغفر ؛ فأردنا بتوفيق الله أن نرفع من تفسيره القناع المسبل الحاجب عن الأبصار بتقديم عدة نظائر منه من غير استيفاء البيان كهمعات متقاطرة تنبأهم عن وابل مدرار .

ثم فوق كل ذلك نمتثل أمره حيث يقول فى مقدمة تفسيره (ص - ٦) الطبعة الثانية :

علماء كرام سے میں گذارش كرتا ہوں كہ مجھے میری غلطیوں سے آگاہ فرمائیں - يعنى :

الرجاء من العلماء الكرام أن ينبهونى على أخطائى وأغلاطى؛ فإذن أمتثل أمره من التنبيه على زلاته وسقطاته وهفواته مع تصريحى واعترافى بأنه لم يكن أهلاً للتفسير ، وما كان ينبغى له أن يقدم على هذا الأمر الخطير، وقد خلق الله لكل فن رجالاً ، وليس هو من رجال هذا الفن ، ويا ليت لو درى هذا ، ثم أقول : يا ليت لو رجع عن هذه الزلات بل الضلالات لأراح القوم عن هذه التعقبات ، وقد قال ﷺ : « من حسن إسلام المرأ تركه ما لايعنيه » وقيل : من حسن عقل المرأ أن لايدخل فيما لايحسنه .

ومن أكبر معايب كتبه وخصوصاً تفسيره هذا " تفهيم القرآن " أن من يطالعه ويمعن فيه نظره ولايكون له قبل ذلك صلة قوية بالدين ولا بالذى جاء بهذا الدين ولا من وصل إلينا بواسطتهم هذا الدين كالصحابة والتابعين وأسلافنا الصالحين الغابرين - رضى الله عنهم أجمعين - لأدرك بمطالعته بتأليف المودودى الأمور التالية :

أما أولاً : فإن دين الإسلام حركة من سائر حركات بدت فى القرون الخالية بين الحركات ، وأن رجلاً جاء به ، وأن هناك عصبة ممن نصروه وعاونوه ففاز ونجح ، ولكن سرعان ما أخذ فى الوهن والوهى ، وأنهم لن يستطيعوا أن يقوموا به ، وعجزوا عن القيام به حتى لم يبق له لاعين ولاأثر ، وأن الأستاذ المودودى جاء بعد قرون متطاولة فقام لإحياء هذا الدين وتجديده .

وأما ثانياً : فالرسول عليه صلوات الله وسلامه كان بشراً كسائر البشر يدبر ويفكر ؛ فتارةً يخطئ وتارةً يصيب، وتارةً ينجح وتارةً يخسر، وتارةً يكون نصيبه من الفتح والنصر والغلبة، وتارةً ينال الهزيمة والهوان أمثال سائر الفاتحين والملوك الغابرين نصيبهم من الفتح تارةً ومن الهزيمة أخرى، وإن كان هو فى ذلك يسيمه رسولاً ونبياً، ويثنى فى ثنايا كلماته عليه ويمدحه ، ولكن الروح التى تتلألأ فى غضون كتاباته بأنه رجل كعامة أفراد البشر وإن كان له عبقرية فكأنه ليس هناك إله يواليه، ولارب يناصره

ويحميه ، ولا ملك ينزل عليه ويؤيده ، ولا تدبير سماوى للغلبة والفتح والنصر ، ولا أمر غيبى إلهىّ تكوينى للنجاح والظفر .

فإذا كان الانطباع والتأثر بهذه الصورة القبيحة فبالله قل لى : كيف يكون الظن بسائر الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه ؟ فلا غرو إذا كان مثل سيدنا يونس عليه السلام عنده مقصراً فى أداء فريضة النبوة ، وأن يكون سيدنا داود عليه السلام يحتال ويدبر أن يطلق أوريا زوجته وهو يحب أن ينكحها وأن يكون سيدنا موسى عليه السلام عجولاً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأما ثالثاً : فأصحاب رسول الله ﷺ كانوا كعامة أفراد البشر يحبون الدنيا ويحبون البذخ ويفعلون ما يفعله الأمراء والملوك من التدابير ، ولم يمكنهم نظام الحكومة على منهاج الخلافة الراشدة إلا سنوات ، حتى إن سيدنا عثمان بن عفان أول من غير وبدل وترك سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة العمرين وأحدث المشاكل لسيدنا على رضى الله عنه فلم يقدر على نظام شرعى فى الحكومة لأجل تلك المشاكل ، وكل من جاء بعده من ملوك بنى أمية غيروا وبدلوا حتى إن عمر بن عبد العزيز الأموى فشل ولم يستطع أن يقوم على أساس شرعى ؛ فكأنهم لم يفتحوا البلاد ، ولا قاموا بالجهاد ، ولاخدموا الدين ولم يفهموا روح الدين حتى جاء الأستاذ المودودى فقام بتجديد الدين وإحيائه !

وأما رابعاً : فكل ترجمة للقرآن الكريم وكل تفسير للتنزيل العزيز لاتتواجد به الروح ، ولا تقشعر منه الجلود ، ولاتذرف

به العيون ، ولاتتحرك به العواطف والميول ، وإن ترجمة السيد المودودى وتفسيره وحـــده أصبح بحيث تذرف بهـــا العيون وتقشعر به الجلود ، وتتأجج بها العواطف، وتنشق بها الأكباد، وتتحرك بها القلوب، وتتواجد بها الرؤوس، هذا ما يفهمه كل أحد فهم كلامه فى مقدمة تفسيره وفى تفسيره .

ولايدرى المسكين أن تلك الكيفيات والصفات هى لنظم التنزيل العزيز والقرآن المجيد الذى هو معجز ، ومن كلام الخبير العليم الذى لايخلق بكثرة الرد ولايملّ قاريه ، فإن كانت هذه الكيفيات لو كانت تعرو لتعرو على من يتلو كتاب الله العزيز بتدبر من فكره وبلغ إدراكه إلى دقائق التعبير القرآنى وحقائقه ، ومن له ذوق فطرى سرت إلى روحه وقلبه حلاوته كما يسرى الروح فى البدن فتأخذه هزة كما تهزّ العصفور ، وليست تلك الخصائص لترجمة القرآن الكريم أية ترجمة كانت ولو من مثل أبى الكـــلام أو مثل المودودى ؛ فحطّ التراجـــم القرآنيه بمثل هذا النقد خطأ فاحش جلى ؛ فهل ترجمة الأستاذ المودودى لها هذه الميزات والخصائص ؟ كلاثم كلا ؛ فكيف يستحق هو أن ينقد سائر التراجم ، وكأنه يدعى هذه الصفات لترجمته ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وبالجملـــة : مطالعة تفسيره تبلغ بالمرأ إلى سوء الظن بمن سبقه ، وأن الأستاذ المودودى قام لما لم يقم به أحد من معاصريه ولالاحقـه ؛ فاضطررنا أن نقدم عدة أمثله من أفكاره الخاطئة فى

هذا التفسير الذى أصبحوا به مغرمين ، وكنت قد أسلفت نقداً على تفسيره فى رسالتى " يتيمة البيان فى شئ من علوم القرآن " فيلائم أن ننقله هنا برمته ثم نزيد ، والله ولى التوفيق ، وهو الهادى إلى سواء الطريق . وفيها :

والرابع : " تفهيم القرآن " للأستاذ المودودى ، لاشك أن مؤلفه صحافى قدير باللغة الأردوية ، وله ملكة الصحافة الموهوبة ، وله أسلوب بديع فى الإنشاء ، وقلم سيال فى تحليل أجزاء الموضوع ، يستجلب أنظار العامة ، ويستلفت أفكار الجيل الجديد ، وربما يأتى بتفكير جديد فى الأبحاث ، بيد أنه بالأسف الشديد مؤلفه ليس له رسوخ فى علوم الدين ، ولا قدم راسخ فى علوم البلاغة وعلوم العربية ، فقيد الذوق بالحوار العربى البليغ ، دائماً يبنى على أنقاض غيره ، ولكن لما يريد تعبيره بأسلوبه يخرج عن الجادة ويتجاوز الصواب ، وإعجابه بالرأى ربما يلعب بقلمه ما يكون وصمة عار وجهل أبد الآبدين ، وتظاهره بالتحقيق فى كل شئ مع كونه مسكيناً فى كل فن غير قدرة الإنشاء والتحرير بالأردية ، وازدراؤه بكل من سلف أصبح شيناً لكتبه وكتاباته ؛ فتفسيره فيه مؤاخذات ، وانتقادات ، وملاحظات ومناقشات ، وهذه الرسالة لاتتسع ساحتها للبحث وتقديم الأمثلة ، ولكن نقتنع بعدة أمثلة كبرض من عد .

منها : ما يقول فى آيات غزوة أحد فى آل عمران (١ ـ ٢٨٨) الطبعة الخامسة : إن كل بيئة وجد فيها الربا تحدث فيها أدواء

خلقية من الحرص، والطمع ، والبخل، وإيثار النفس، والبغض، والحسد ، والتنافر ، والغضب ؛ فالذين يعطون أموالهم بالربا يحدث فيهم الحرص والطمع والبخل ، والذين يأخذون الأموال بالربا يورث فيهم الحسد والبغضاء والتشاحن ؛ فهم صنفان ؛ فكان من جملة الأسباب المؤثرة فى هزيمة المسلمين وجود هذه الأدواء فيهم .

انظر هل أشار القرآن الكريم إلى شىء من هذه الأدواء بأنها أثرت فى هزيمتهم، والله سبحانه يقول: « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر من بعد ما أراكم ما تحبون » ويقول عزوجل : « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم» الآية؛ فأين هذا من ذاك ؟ هب أن الشباب عصوا أميرهم وتأولوا فى كلامه وآثروا أن يساهموا فى الغنيمة؛ فهل هذا كان من حرصهم وشحهم وحسدهم وبغضهم ؟ وهب أن الربا لم تنزل حرمته بعد ولكن بعد قبولهم الإيمـان بإخلاص تؤثر فى طبائعهم هـذه الرزائل الذميمة ؟ دعنى من هذا فهل الله سبحانه أشار إلى مثله ؟ وهل معنى « ببعض ما كسبوا » هذا الذى يقوله الأستاذ المودودى؟ كأن الأستاذ ينتظر فرصةً تسنح فى حق الصحابة الأبرياء ؛ فينتقم منهم وينزل عليهم باللعن والويلات ، ويترقب بالمرصاد للطعن فيهم ، هداه الله عن زيغه المبين ، ورضى عن الصحابة أجمعين .

ومن العجيب المدهش أنه لما قرأ " ظلال القرآن " للسيد قطب ، وقرأ فيه عدة صفحات فى صدد تفسير آيات غزوة أحد وما عقبها من آيات التنزيل الكثيرة من آية ١٢١ إلى آية ١٨٩ ، أريد أنه فسر ٥٩ آية من التنزيل فى صعيد واحد، يبدى لطائفها وحقائقها ، وتناسقها وارتباطها ، واتصال بعضها ببعض ، ولما جاءت آية : « ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة » فى أثناء آيات غزوة أحد بعد آيات ثم جاءت فى تفسيرها الكلمات الآتية : ولعل مما يلفت النظر فى التعقيب القرآنى على أحداث المعركة هو ذلك الازدواج العجيب بين استعراض مشاهدها . . . . وبين التوجيهات الأخرى المتعلقة بتصفية النفوس . . . . وتحريرها من ربقة الشهوات ، وثقلة المطامع وظلام الأحقاد . . . . وضعف الحرص والشح والرغبات الدفينة .

وقال فى ضمن تفصيل طويل : وكذلك هى ذات ارتباط وثيق بالأوضاع التنظيمية التى تقدم عليها حياة الجماعة المسلمة وفق منهج الله القويم ، المنهج الذى يقوم على الشورى فى الحياة كلها لا فى نظام الحكم وحده ، وعلى النظام التعاونى لا النظام الربوى ، والتعاون والرباء لايجتمعان فى نظام اه ، إلى أن قال : ومن ثم عرج على الربا فنهى عنه، وعرج على الإنفاق فى السراء والضراء ، وعرج على طاعة الله ورسوله فجعلها مناط الرحمة . إلى أن قال : والمجتمع التعاونى أقرب إلى النصر من المجتمع الربوى ، وكظم الغيظ والعفو من عدة النصر إلخ .

فانظر يا رعاك الله أين هذا الكلام البليغ من ذاك الكلام السمج الثقيل على الأذهـان قبل الآذان ؟ فالأستاذ المودودى لم يصل إلى مغزى كلام القطب ، وذهب وهله إلى ما قال ، وتحدث بحدسه الخاطئ أن تلك الأدواء الخلقية كانت فى الصحابة وأثرت فى الهزيمة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ؛ فقل لى بالله عليك : رجل بضاعة علمه ما رأيت ، وفهمه بالقرآن ما دريت ؛ فهل مثل هذا الرجل يستحق أن يؤلف تفسيراً للقرآن العظيم ؟! وأنا أدرى أن الموضوع غنى غايـة الغنى ، وقد ألف تفاسير قبله فى هذه البلاد باللغة الأردية ، وفيها مثل أبى الكلام أحمد من هو أقدر عـلى الأدب باللغة الأردية من الأستاذ المودودى ، وهو متطفل على مأدبته الأدبية وسماه : " ترجمان القرآن " والأستاذ المودودى يستفيد منها ويكتب ما يكتب على ضوئها . بيد أنه يحاول أن يسبقهم إبداعاً وإنشاءً ، ويعجب أن ينفرد بتحقيق لم يسبق إليه حتى يكون سباق غايات ، وفعلاً انخدع به رجال ، ثم لايكون فيه كفاءة لهذا السبق ؛ فيقع فى أعمق هوة من الجهل أو الضلال ، وربما يقلده فى ضلال وخطأ ، فيضل التابع والمتبوع .

ومنها : قوله فى تفسير السماوات (١ - ٦١) الطبع الخامس فى سورة البقرة ما ترجمة لفظه : إن حقيقة السماوات السبع وتعينها أمر مشكل ، حيث إن الإنسان قد اختلفت آراؤه فى كل دور فى السماء ، أو بلفظ آخر : بشئ فوقه ما وراء الأرض ؛ فهو بمشاهدته

وقياسه يتصور أموراً لاتزال تتغير دائماً مستمراً ؛ فلا يلائم أن يرتكز فكر المرأ على واحد من تلك التصورات ويجعلها محطاً لفهم القرآن ، بل يكفى بالإجمال أن يقال : إن ما وراء هذه الأرض من الكائنات قد قسمها الله سبحانه فى سبع طبقات محكمة، أو يقال : إن هذه البسيطة الواقعة فى إطار تلك الكائنات قسم الله تلك الكائنات إلى سبع طبقات اه .

فقوله هذا يدل على أنه لا يؤمن فى السماوات السبع بما نص الله سبحانه فى التنزيل العزيز من بيان صفاتها وأبوابها، دع آراء الإنسان والأفكار البشرية واختلافها، ما ذا الذى أثبته القرآن الكريم فى نصوصها الصريحـــة الواضحة ؟ أليس يقول الله سبحانه : « فقضاهن سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها » فى سورة فصلت ؟ وما الذى أثبته نصوص الأحاديث المتواترة وخصوصاً أحاديث المعراج المقطوعة من بيان كيفيتها ووجود الملائكة فيها ؟ وما إلى ذلك فى شئون إلهية ونظام سماوى بديع ، دعنا عن فلسفة الإغريق وعن فلسفة أوربا ، ودعنا عن العلوم الطبيعية وعدم وصول أنظارها إليها وحتّى ما وصل إدراكهم إلى تلك النجوم الثاقبة المعلقة فى جوّ السماء على الرغم من الوصول إلى كرة القمر ، وإنزال الطائرات على كرة المريخ ، تحيروا واندهشوا فى سعة هذه الكائنات الجوية ، ومنها : ما لاتصل أنوارها إلى بسط الأرض فى ملايين من السنين ، وكل هذه المصابيح المبصرة وغير المبصرة تحت السماء الدنيا .

فانظر يا رعاك الله ارتفاع القبة الخضراء كيف رفع سمكها، فانظر إلى قول الله عزوجل : « أأنتم أشدُّ خلقاً أم السماء بناها ، رفع سمكهـــا فسواها » (النازعـــات) ، وقال عزوجل : « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت » (الغاشية) ولعدم وصول العقول والإدراكات إليها زعموا أن كل ذلك منتهى مرأى العيون ، ومنظر رائع فى المرائى ما لها حقيقـــة ، ولاريب أنهم كذبوا وخابوا وخسروا ، والقرآن العظيم صرح بوجودها وصفاتها ، وبينت أقوال سيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه المقطوعة المتواترة تفاصيلها وشئونها ، وإنها مساكن الملائكة الربانية ، وفوقها عرش الرحمان جل جلاله ، وتعالى الله عن مستقر مادى يحتاج إليه ، ومقر يأوى إليه ، وهو الصمد لم يزل ولا يزال ، وهو الخالق المتعال .

وبالجملة : السماوات مخلوقة موجودة ، والآيات البينات مقطوعة ، والإنكار عنها تكذيب للتنزيل العزيز ، وتكذيب للرسول عليه صلوات الله وسلامه ، والإيمان بصدق القرآن وصدق الله وصدق الرسول من ضروريات الدين ، والتأويل فى مثلها يرادف الإنكار ، فما يقوله الأستاذ فى " التفهيم " يوهم الإنكار عن وجودها وعدم الاطمينان بما أثبته القرآن والحديث وما أجمع عليـــه الأديان السماوية الإلهية ؛ فكان حق تفسيرها أن يقول : والأفكار من الفلاسفة وإن عجزت عن إدراك حقائقها فالقرآن والحديث والشريعة كل يصرح بوجودها وحقيقتها ؛

فالاقتناع بقول : إن تعينها أمر مشكل وآراء الرجال مختلفة ، أية حاجة لمثل هذا الكلام السقيم ؟! وأية منزلة لآراء الرجال أمام صرائح التنزيل وقواطع الحديث الجليل ؟ فليزن الناظر المنصف هذا التفهيم الخاطئ أمام هذا المقطوع الواضح .

ثم إنـه لما قرأ فى " ظلال القـرآن " (١ - ٦٢) من الطبعة الخامسة : ولا مجال للخوض فى معنى الاستواء ، إلا أنه أمر من السيطرة والقصد بإرادة الخلق والتكوين ، كذلك لامجال للخوض فى معنى السماوات السبع المقصودة هنا وتحديد أشكالها وأبعادها اكتفاءً بالقصد الكلى من هذا النص ، وهو التسوية للكون أرضه وسمائه فى معرض استنكار كفر الناس بالخالق المهيمن المسيطر على الكون إلخ ، وهذا الكلام فى مثل هذا المحل وإن كان قاصراً بيد أنـه كلام لاغبار عليـه غير التقصير ؛ فالأستاذ صاحب " تفهيم القرآن " كأنه لم يدرك مرماه ، وأراد أن يسبقه فى المقال ، وقال مـا قال وقارب الضلال ، فارجع البصر كرتين ، وقارن بين الكلامين تجد الفرق البين بين القولين ، وبالجملة : كلامه هنا يدل على أنه لم يطمئن بما فى القرآن قلبه ، ولاثلج بما فى الحديث صدره ؛ فرحم الله من أنصف ولم يتعسف ، وأكثر القارئين بشخصية الرجل لا تصل أفهامهم إلى هذه الحقائق وإلى تلك العواقب الوخيمة التى تتسرب فى خفاء فضلاً عن الجيل الجديد المغرمين بالتعبيرات الطلقة ، مع أنها لاتتجاوز عن أن يكون بقبقة فى زقزقة ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومنها : قوله فى سورة البقرة فى قوله تعالى : « ورفعنا فوقكم الطور » فيقول : إن كيفية الرفع المفصلة مشكلة ، بل يعلم بالإجمال : أن عند أخذ الميثاق فى سفح الجبل أنشئت صورة هائلة علموا منها أنه يكاد يسقط عليهم الجبل إلخ . هذا ذوق معتزلى كأنه ينكر الرفع الحسى الحقيقى ، وتمثلت صورة هائلة هناك مع أن الله سبحانه صرح فى الأعراف بقوله : « وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم » الآية ، وبعد هذا النص الصريح وقوع لفظ : « نتقنا » كيف يمكن هذا التأويل الاعتزالى .

ويقول الإمام الراغب الأصفهانى فى "مفرداته" : نتق الشئ : جذبه ونزعه حتى يسترخى . . . . قال تعالى : « وإذ نتقنا الجبل » إلخ ، وهنا أيضاً لم يدرك مغزى قول صاحب " الظلال " فى تفسيره (٩ ـ ٩٩) : إنه ميثاق لاينسى فقد أخذ فى ظرف لاينسى ! أخذ وقد نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة . . . . . فأعطوه فى ظل خارقة هائلة كانت جديرة أن تعصمهم بعد ذلك من الانتكاس ، ولقد أروا فى ظل تلك الخارقة القوية إلخ ، وكلام صاحب " الظلال " فى الظلة ليس يخرجها عن معناها المتعارف ويسميها خارقة هائلة ، فحرفها المودودى وترجم الخارقة الهائلة بالصورة الهائلة استبعاداً لرفع الجبل كما سبقه إلى ذلك التحريف الأستاذ أبو الكلام آزاد فى " تفسيره " .

ولم ينتبه الأستاذ المودودى إلى كلمة " الخارقة " ومعناه : الخارقة للعادة ، فكانت معجزةٌ إلهيةٌ خارقةٌ للعادة ؛ فالمودودى إما لم يفهمها جهلاً وترجمها بالصورة، أو فهمها ولكن لم يطمئن قلبه بقبولها إلحاداً وإنكاراً عن المعجزة ؛ فحرفها ومسخها وترجمها بالصورة استغراباً للإعجاز ، واستبعاداً لما يتبادر من اللفظ ، ومهما يكن من شئ فتعبيره إما لأجل الجهل بمرادها ؛ أو لأجل استبعاد الإعجاز فى القدرة الإلهية، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومنها : قوله فى تفسير قوله تعالى : « فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً » الآية ، (١ - ٥٥٦) من " التفهيم " من الطبعة الخامسة ما لفظه مترجماً إلى العربيــة : بين فى هذه الآيات حال سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وما وصل إليه بتدبره قبل تشرفه بمنصب النبوة ؛ فقد اتضح أن من كان سليم الفطرة وفتح عينيه فى بيئة وثنية وكان غير ممكن أن يتلقى التوحيد ، فهو أخذ يفكر فى هذه الكائنات وآثارها ، ويصل مستدلاً بها إلى الحق ، ثم يقول ما ملخصه : إن هذه المنازل والمراحل من الحيرة والتردد جاءت فى البين وسط مراحل السفر ؛ فلا عبرة للمسافر فى الإقامة فى هذه المنازل ، حيث إن محطَّ الرحل بعده هو الوصول إلى التوحيد ؛ فالعبرة للنهاية لا للبدايــة ، والعبرة لما حصل عليه القرار لا ما جاء فى الوسط من غير انتهاء السير ، إلى آخر ما قال .

وفيه مؤاخذات وأخطاء فى هذا التعبير والتحرير :

أما أولاً : فإن كل نبى أو رسول مفطور ومخلوق على عقيدة التوحيد الراسخ فى قلبه ويكون مطمئناً بها ، وغير ممكن أن تمضى عليه لمحة فى حياته من غير إيمان بالوحدانية ، ولا يمكن التردد أو الحيرة للنبى فى التوحيد ؛ و « كل مولود يولد على الفطرة ؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » فإذا كان هذا حال عامة من يولد فما ظنك بمن يولد ليكون نبياً ورسولاً ؛ فالإيمان بالله وحده من حاق فطرته ، ولا يحتاج فيه إلى استدلال بل يهتدى إليه بفطرته التى خلقه الله عليها قبل كل استدلال وتفكير ، وهذا هو الحق عند أرباب الحق ، نعم يمكن أن يرتقى بالاستدلال والتفكير والخوض فى ملاحظات الكائنات والنظام البديع السارى فى الكون من اليقين إلى عين اليقين، ومن عين اليقين إلى حق اليقين، كما يوضحه سؤال سيدنا إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه عن الله سبحانه وتعالى : « رب أرنى كيف تحيى الموتى » .

وأما ثانياً : فكلام الأستاذ المودودى صريح فى أنه مرّ سيدنا إبراهيم من مراحل الحيرة والتردد فى التوحيد حتى وصل بعد الاستدلال ، واهتدى إلى الحق بعد طىّ هذه المنازل التى لابد منها للسائر فى سيره وللمسافر فى سفره ، ومثل هذا الرأى خطأ وضلال فى حق الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأنا أدرى أن الأستاذ المودودى اقتدى بالقطب فى " ظلاله " ولكنه لم يهتد إلى الحق فى مقاله ، وإن كان وقع نحو قصور

في تعبير صاحب " الظلال " أيضاً ، وعصمة الأنبياء من الشرك والكفر كلمة اتفاق وإجماع في الأمة المحمديـــة قبل النبوة وقبل البلوغ ؛ فليس من الممكن أن يتردد في التوحيد ، أو يبقى في الحيرة ، أو يستفهم أحداً أو يستدل له بشئ ؛ فلا يمكن في حياته لحة من الوثنية والشرك وإن كان عارضاً غير مستقر ، وفي البين وفي وسط السير .

وأما ثالثاً : فكلام سيدنا إبراهيم - عليه السلام - كان من قبيل المجاراة مع الخصم تبكيتاً لأهل الشرك ، وإقامةً للحجة عـــلى المنكرين ، وتنبيهاً لطيفاً على ضلالهم ، وإنقاذاً لهم من مزالقهم ، وهو طريق أهل البلاغة والدعوة بالحكمة ، لا أنه كان نفسه في الحيرة والشك وعدم الاهتداء إلى الحق حتى يقال : لا بد للسائر من المرور من هـــذه المراحل حتى ينتهي إلى المنزل . وبالجملة فهذه نماذج من المؤاخذات وربمـــا يشتدُّ النقد في بعضها حيث خروجها عن الجادة القويمة المستقيمة ، وإنما الغرض هنا ومضات خفيفة من الصواعق ، والله ولي التوفيق إلى الهداية .

ومن معايب كتبه وكتاباته أنه ربما ينبهه أحد من العلماء على أنه زلَّ قلمه وقدمه في كذا وكذا فيتنبه أنـــه أخطأ ويحاول أن يصلحه فيغير تعبيره كأنه رجع عنه ، أو يغوره كأنه يأوّلـــه ، ويأتي في الطبعات اللاحقة بتغير أو تعديل أو إصلاح ولكن لايعلن رجوعه وبتغييره ؛ فالطبعات السابقة التي وصلت بأيدي الناس يقرءونه كما هو من غير أن ينتبهوا للإصلاح والتغيير ؛ فيبقون

فى ضلالهم ، ويا ليت لو أعلن وأبدى خطأه لجلت منزلتـه فى عيون الناس ، ولعفا الله عنه عما سلف ، ولكن بالأسف الشديد إنه لا يبدى ولا يعلن كأنه لم يخطئ .

ومن أمثلته : أنه فى حق سيدنا يونس عليـه صلوات الله وسلامه ذكر أنه وقع منه تقصير فى القيام بفريضة النبوة حيث لم ينتظر حكم الله فأبق ؛

فيقول ما لفظه بالأردية :

تاهم قرآن کے اشارات اور صحیفہ یونس کی تفصیلات پر غور کرنے سے اتنی بات صاف معلوم ہوتی ہے کہ حضرت یونس سے فریضہ رسالت کی ادائیگی میں کچھ کوتاہیاں ہوگئی تھیں، اور غالباً انہوں نے بے صبر ہو کر قبل از وقت اپنا مستقر بھی چھوڑ دیا تھا

إلى أن قال :

پس جب نبی اداء رسالت میں کوتاہی کر گیا اور اس کے مقرر وقت سے پہلے بطور خود اپنی جگہ سے ہٹ گیا الخ ،

يقول : وبالجملـة : إن الإشارات القرآنية وتفصيلات صحيفة يونس من أمعن فيها اتضح له أنه وقع من يونس - عليـه السلام - تقصيرات فى أداء فريضة الرسالة ، ولعلـه لم يصبر وفارق مركزه قبل أوانه ، إلى أن قال : ولما قصر يونس النبى فى أداء رسالته وفارق محله قبل أوانه التى عينها الله تعالى الخ . وكان كلاماً غير مستساغ فنبه القوم على الخطأ فى القول ؛ فإن النبى إذا قصر فى أداء منصب النبوة فكأنه لم يكن أهلاً للتشرف بهذا

المنصب العظيم ، ومن نتيجة ذلك أن الله تعالى كان مقصراً فى هذا الاصطفاء والاجتباء ؛ فكان علم الله غير محيط وغير صحيح ؛ فبعد ما نبهه القوم غير تعبيره ولم يعلن ؛ فبقى فى الطبعة الأولى ، وكذلك فى رفع سيدنا عيسى عليه صلوات الله وسلامه إلى السماء حياً بجسده الشريف غير عبارته ، هكذا وهكذا له أمثلة ، الله يهدينا وإياه .

هذا ما أسلفته من قبل ، ودونك أمثلة أخرى فمنها ما يقول فى " تفهيم القرآن " (٢ ـ ٣٩٤ الطبعة الأولى) فى تفسير قوله تعالى : « وشهد شاهد من أهلها » : ورد فى بعض الروايات أن هذا الشاهد كان طفلاً فى المهد أنطقه الله ببراءته ؛ فيقول : لم يثبت هذا برواية يكون سندها صحيحاً ، ولا حاجة إلى أن يستعان بمعجزة بل هذا رجل بصير مجرب أدرك الحقيقة ، وربما يكون هو قاضياً أو حاكماً اه .

أقول : أما أولاً : فياليت لو طالع التفاسير المتداولة لم يجترأ بهذا فالحديث صحيح أخرجه أحمد فى " مسنده " وابن حبان فى " صحيحه " والحاكم فى " مستدركه " من حديث ابن عباس ، وكذا رواه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال : صحيح على شرط الشيخين كما فى تفسير السيد الآلوسى .

وأما ثانياً : فيدل أمثال هذه المواقع على انحراف فى طبيعته فراراً عن المعجزات ؛ فكأن طبيعته تأبى عن المعجزات ،

وتضيق عن إدراك سعة القدرة الإلهية ، وقد أصبح مثل هذا شعاراً لهؤلاء المتظاهرين بالتحقيق ، وعلى كل حال يظهر من أمثال هذه البحوث بضاعته العلمية المزجاة ، وعقيدته الخاطئة البعيدة عن مسلك أهل السنة والجماعة . ومنها : ما يقول فى تفسيره فى تفسير سورة " ص " (ص - ٣٢٧) وما بعدها وما قبلها بما تقشعر منه الجلود حيث حكى تلك الطامات فى سيدنا داود عليه الصلاة والسلام بسياق للبحث فى غاية الشناعة ؛ فقد حكى كلاماً طويلاً من الأناجيل ومهد له أولاً بتلخيص من كتاب صموئيل بما لايستساغ حكايته ، وكلام مستهجن قبيح ، ويؤكده فيقول : بأنه كان مندرجاً فى الأناجيل قبل نزول القرآن بقرون ، ويقول : إن اليهود والنصارى كانوا يتلونه ويقرءونه ويؤمنون به ، وشرّق وغرّب فى العالم كلــه ، ولم يؤلف كتاب فى تاريخ بنى إسرائيل فى الممالك الغربية إلا وذكر فيه ذلك ؛ فيدعى كأنه تواتر وتوارث جيلاً بعد جيل فى التواريخ والأناجيل ، ثم حكاه برمته ثم يقول : وبعد وصول هذه القصة القبيحة المنكرة المستهجنــة إلى حد الشهرة لم تكن داعيــةً للتنزيل أن يذكرها بتفصيل ، بل جاء بإشارات فى خفاء وحجاب .

ثم يقول صاحب " تفهيم القرآن " : والذى يطمئن به القلب أن سيدنا داود عليه السلام أبدى رغبته لأوريا أن يطلق زوجته لينكحها ، وهذه الرغبة كانت من مليك جليل القدر من رجل عظيم فى الدين ؛ فكان أوريا مضطراً لتلبية دعوته من غير

إجهار، ولفظه فى كتابه " التفهيمات " (٢ - ٤٢) أبشع وأقبح مما فى " تفهيم القرآن " فيقول هناك بأن داود تأثر من بيئة إسرائيلية فى عهده ومما راج فى عصره، فاقترح من أوريا طلاق زوجته . وفى أثناء هذه الظروف تسور عليه خصمان صالحان وقدما قضيةً مفروضةً تمثيليةً غير واقعية؛ فتنبه وتاب وأناب .

ويقول : إن داود عليه السلام كان علم محاسن تلك المرأة ؛ فكان يحب أن يكون مثل تلك المرأة زوجةً لصاحب مملكة ؛ فأصبح مغلوباً من هذه الرغبة وأبداها لأوريا بطلاق امرأته ، ويقول : لم تكن مثل هذه الرغبة مذمومةً فى بنى إسرائيل ، وبالجملة : تاب عن قبول هذه الرغبة بعد قصة الخصمين ولكن أوريا استشهد فى الحرب فنكح سيدنا داود بتلك المرأة التى توفى عنها زوجها أويا ، وهذا الذى أصبح منشأً لأكاذيب اليهود ، إلى آخر ما قال . وبالأسف الشديد يذكر تلك الطامات مرةً بعد مرة كأنه يتلذذ بحكايتها .

وصرح فى (٤ - ٣٢٦) ما لفظه بالأردوية :

اس سے صاف معلوم هوا كه حضرت داود سے قصور ضرور هوا تها، اور وه كچھ ايسا قصور تها جو دنبيوں والے مقدسے سے كسى طرح كى مماثلت ركهتا تها - إلى أن قال : ليكن اس قصور كى نوعيت ايسى شديد نه تهى كه اسے معاف نه كيا جاتا -

ما ترجمته : إنه تبين من هذا صريحاً أنه صدر منه زلة وتقصير يماثل قضية النعاج نوع مماثلة ، غير أن هذا التقصير لم يكن شديداً حتى لايغفر، وحتى ينزل من منصبه الرفيع الخ .

ويقول فى (٤ - ٣٢٧) ما ترجمته: إنه ظهر بطبيعة الحال مع قبول توبته وتبشيره برفع الدرجات أن ما صدر منه من فعل كان فيه دخل لشهوة نفسانية ، وكان له صلة باستعماله السلطة الحكومية لشئ غير مناسب ، وكانت وصمة لاتليق بشأن مليك وحاكم .

فهذا التفسير فيه مؤاخذات :

أما أولاً : فكان لا لزوم لحكاية عبارات الأناجيل بنصها وفصها بما تفتت الأكباد .

وأما ثانياً : فتمهيده بأنه كان متواتراً مشهوراً عند مؤرخيه وكانوا يؤمنون والقرآن أشار إليه فى خفاء ، شنيع وقبيح كأنه يصدقه ويؤيده .

وأما ثالثاً : فنسبة النبى المعصوم إلى شهوات النفس وعدم الصبر والاضطرار إلى أن يدخل امرأة أوريا فى زواجه واقتراحه منه طلاقها كله شنائع فظيعة .

وأما رابعاً : ففيه تصريح بأن النبى المعصوم الذى عصمه الله من شهوات النفس تأثر من بيئة إسرائيلية رائجة فى عهده ، وأن أمثال هـــذه التدابير فى تلك البيئـــة كانت غير بعيدة ، وكل ذلك سوء فهم لمعرفة ذلك المنصب الجليل ومنصب النبوة العظيمة ؛ فهل يتصور فى حق نبى معصوم أنه يدخل فى غمرات النفس وشهواتها؟ وهل يتصور أنه يأخذ تدبيرات دقيقة للحصول على ما يشتهيه نفسه ؟ إنا لله ؛ وإذن يرتفع الأمان عن منصب النبوة المعصومة .

وأما خامساً : فاتهام نبي معصوم جليل وخليفة عظيم بأنه استفاد من سلطة حكومته عملاً يشينه ولا يليق به ، وإن منصبه كان أعلى من أن يرتكب أمراً ينحط عن منصبه ، كل ذلك حديث خرافة يجل عنه منصب نبي معصوم وخليفة حق .

وأما سادساً : فسياق تفسيره هنا يكاد يضل قارءه في شأن منصب سيدنا داود عليه السلام ولاسيما من لم يكن له صلة بالدين ولم يكن له فهم بحقائق التنزيل بل يكاد يكون ذريعة إلى مؤاخذة سائر الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه ، ووسيلة إلى سوء الفهم في حق هؤلاء العظام، وإذا ساءت الظنون بالرسل والأنبياء فما ظنك بغيرهم من الصحابة والتابعين ؛ فإذن يرتفع الأمان عمن جاءوا بالدين عن رب العالمين بواسطة جبرئيل الأمين، والله يقول الحق ويهدى السبيل .

ومنها : ما يقول في تفسيره (١ - ٣٤٣ وما بعدها) في تفسير قوله تعالى : « إني أعظك أن تكون من الجاهلين » ما ترجمته : لا يظن أحد أن روح الإيمان كان ناقصاً في نوح ، أو أنه كان في إيمانه شائبة من الجاهلية ، غير أن الحقيقة أن الأنبياء يكونون بشراً ، ولا يقدر من البشر أحد أن يقوم كل حين بأعلى معيار الكمال الذي عينه لكل مؤمن ولكن ربما يأتي على النبي مع كونه على منصب أعلى وأشرف أن يكون مغلوباً في مسألة نفسانية دقيقة عن زلات بشرية ، ولكن سرعان ما ينتبه بعد تنبيه الله إياه ويتوب ولا يتأخر لحظة عن إصلاح

خطئه ، إلى أن قال : إن من ترك الحق وآثر الباطل ثم يظن هو لمثله أنه من صلبه وأنه ابنه ، فهذه جاهلية ؛ فإذا نبه على ذلك عاد إلى ما يقتضيه الإسلام اه .

ففيه أما أولاً : فإنه أثبت للنبي المعصوم جاهليةً آخراً بعد ما نفاها أولاً .

وثانياً : أنه نسب إلى سيدنا نوح أنه تارةً يكون مغلوباً من نقائص بشرية .

وثالثاً : أن كل نبي يفعل ما يفعل ابتغاءً لوجه الله جل ذكره ، وشأنه أرفع من أن يتأثر من بيئة غير صالحة ، بل هو تحت ربوبية خاصة وأنه يكون أجل من أن يتخذ سنة جاهلية فيأبى كل ذلك منصبه الجليل ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

ومن الغريب المدهش أنه يدعي في كتابه " رسائل ومسائل " (١ - ٣٠٦) الطبعة الثانية كما ينقله مولانا الشيخ القاضي مظهر حسين رئيس إدارة " خدام أهل السنة والجماعة " في كتابه " مودودي مذهب " : إني لا أرتكب أمراً أكون فيه مغلوباً عن العواطف والميول من فضل الله تعالى ، وكل ما أقوله فأزنه وزناً ، وأنا مطمئن بأني لم أقل كلمةً غير الحق اه . فانظر يا رعاك الله النبي تارةً يغلب عن العواطف والنقائص البشرية عنده ، ويتأثر هو من بيئة جاهلية غير صالحة ، ولكن الأستاذ المودودي منصبه أرفع وأعلى من أن تخرج كلمة منه

ويصدر خلاف الحق ، فيتوهم القارئ منه أن منصب الأستاذ المودودى إذن يكون أرفع من منصب نبى كريم ورسول عظيم مع أن هناك انعقدت المشيئة الأزلية بعصمة النبى والرسول ، وهو دائماً تحت رعاية ربانية خاصة ، والبشر غير النبى ما عدا أوليائه المخلصين دائماً تتلاعب بـه الأهواء والنزعات ، وتتأثر من تأثير البيئة ولا يكون محفوظاً من عواطف بشرية ، فعليك أن تتأمل فى هذا الإعجاب الغريب إلى أى حد بلغ بالمرأ .

ومن الموسف المؤلم أن الأستاذ المودودى يدعى لنفسه هذه العصمة ولكن يصرح فى "تفهيماته" (٢ - ٤٣) الطبعة الثانية ما لفظه :

اور یه ایک لطیف نکته هے که الله تعالی نے بالاراده هر نبی سے کسی نه کسی وقت اپنی حفاظت اٹھا کر ایک دو لغزشیں هوجانے دی هیں تاکه لوگ انبیاء کو خدا نه سمجھیں اور جان لیں که یه بشر هیں اهـ -

ما ترجمته : بأن هناك نكتة لطيفـــة بأن الله يريد أن يرفع عصمته من كل نبى بين حين وآخر ؛ فيصدر منه بعض زلات لكى يعلموا ان النبى ليس بإلـه ، وأن يعلموا أنه بشر اهـ . فيا سبحان الله ! أليس يكفى لكون النبى بشراً ان يشرب ويأكل ويولد من بطن أمه يصح ويمرض ؟ وما إلى ذلك من خصائص بشريـة ؛ فصدور المعاصى وحده يبدى بشريته ؛ فيا للأسف ! وبالجملـــة : شناعـــة هذه الفكرة غنية عن الانتقاد ؛ فالله يهدينا وإياه .

ومنها: ما قاله فى سيدنا آدم عليه السلام فى تفسير سورة "طه" (٣ - ١٣٣) فعبر تعبيراً فى غاية البشاعة والشناعة ؛ فيصور ما صدر منه بأن تقصيره البشرى أن الشيطان لما أغراه فلم يثبت لـه قدم وزلّ ، وهاجت جذبته عند إغراء الشيطان وغلبته ، ولم يقدر على ضبط نفسه ؛ فهوى فى حضيض المعصية عن أوج الطاعة ما لفظه بالأردية :

يهاں اس بشری کمزوری کی حقیقت کو سمجھ لینا چاهئے جو آدم علیه السلام سے ظهور میں آئی -

إلى أن قال :

بس ایک فوری جذبے نے جو شیطانی تحریض کے زیر اثر ابھر آیا تھا ان پر ذهول طاری کردیا اور ضبط نفس کی گرفت ڈھیلی ہوتے ہی وہ طاعت کے مقام بلند سے معصیت کی پستی میں جا گرے إلخ -

فعلى الأقل مثل هذه التعبيرات فى حق الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه غاية سوء الأدب لا يقوله من يقدر فى سويداء قلبه منصبهم الجليل .

وظاهر أن الكلمات العربية المشتركة لمعان يختلف حقائقها فى محالها ومجالها ، والعالم الأريب مضطر إلى فهم الحقائق وتفاوت مراتب التعبير ؛ فإن دائرة الألفاظ ضيقة لا تفى لأداء الحقائق المتفاوتة إلا بنوع من التسامح والتجوز ، وإجراؤها على السواء فى كل موضع لايأتى إلا ممن يجهل هذه الدقائق أو لا يتأدب مع الرسل والأنبياء ، ويعامل معهم معاملة عامة أفراد البشر ، وقد صرح الأستاذ المودودى فى مقالة له التى بعثها إلى ذلك المؤتمر

الثقافى الإسلامى المنعقد فى لندن فى حق سيد الرسل خاتم الأنبياء محمد ﷺ بما لفظه :

نه وه مافوق البشر تهے نه بشری کمزوریوں سے بالاتر تهے -

كما فى مجلته " ترجمان القرآن " أبريل ١٩٧٦م .

بأنه ﷺ لم يكن فوق البشرية ولا أرفع من النقائص البشرية ، ثم لما انتقد عليه أوّله بأن الغرض من النقائص البشرية الخصائص البشرية ، وهذا تأويل بل تحريف للمحاورات السائرة ، وقد استعمل ذلك التعبير فى سائر الأنبياء وفى عامة كتاباته وتأليفاته ، وفى حق أصحاب رسول الله ﷺ كما أسلفنا ذلك من قبل ، ويقول فى مجلته الشهرية " ترجمان القرآن " (ص - ١٢٩) سنة ١٩٥٥م ما ملخصه واضحاً : أن قصة آدم عليه السلام لم يبينها الله عزوجل لتزكية ساحته بل ليبين ما صدر منه من الزلة والتقصير بأنه مع تنبيهات الله سبحانه إياه ابتلى فى كيد عدوه وشركه ، لم يكن هو فقط ابتلى بهذه الفتنة بل هو وذريته جمعاء لايزالون يبتلون بها . ويقول : كل ذلك ليتضح محاسنه وتقصيراته ، فامتحنه الله ، فظهر أن هذا الراجى (للمنصب) تحت تأثير الحرص والطمع نزل قدمه ولاتثبت ، وأنه يغلب نسيانه على علمه وحفظه ، إلى آخر ما قال من الخرافات ، وتعبيره هذا على طوله حديث زيغ وضلال فى حق نبى معصوم أجتباه الله واصطفاه ، وفى كلامه هنا فى حقه أصناف من المؤاخذات والملاحظات ، وكلامه هذا يدل على أنه رجل ما له

صلة بالإسلام، وهو حديث عهد بالإسلام لايعرف النبوة ولا النبى ولا الرسول ، ولا حقائق التعبيرات القرآنيـــة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وبالجملـــة : لايلزم من التعبيرات اللفظيـــة المشتركة فى الإطلاق اشتراكها فى المعانى المرادة ، ولا تسويتها فى مراتبها ؛ فانظر إلى كلمة « مليم » فقد ذكرها الله سبحانه فى الذاريات فى حق فرعون فقال: « فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم » ونفس الكلمـــة جاءت فى حق سيدنا يونس عليـــه السلام فى الصافات فقال تعالى : « فالتقمـــه الحوت وهو مليم » فهل الحقيقة فيهما سواء؟ كلا ثم كلا، فرعون كافر أذله الله وأخزاه، ويونس نبي اختاره الله واصطفاه ؛ فمن سوّى فى المعانى لأجل التعبير القرآنى فهو مجنون لايدرى ما يقول ، وجاهل بالحقائق لايعى ما يقال ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا .

وبالجملة : كلامه وتفسيره فى قصة سيدنا داود أبشع من كلامه فى " تفهيماته " فى الجزء الثانى ، بيد أن تعليقه هناك فى " التفهيمات " (٢ - ٤٧) فى غاية الشناعة فظيع منكر إلى الغاية؛ وقبل أن نسوق كلامه نذكر الحديث الذى رواه أحمد والبخارى ومسلم بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة من حديث أنس ما فيه أعظم مفخرة وأعلى مأثرة للأنصار من إيثارهم إخوانهم المهاجرين على أنفسهم وإشراكهم فى أموالهم وأزواجهم ومساكنهم فى عقد المؤاخاة والموالاة ما لانظير له فى تاريخ البشر على بسيط

الأرض؛ فيحدثنا هؤلاء الأئمة من حديث أنس : أن عبد الرحمن ابن عوف قدم المدينة ؛ فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع الأنصارى ؛ فقال له سعد: أى أخى ! أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها ؛ فقال عبد الرحمن : بارك الله لك فى أهلك ومالك دلونى على السوق ، إلى آخر الحديث . وهـذا لفظ أحمد ، وفى لفظ للبخارى : أىَّ زوجتى هويت ، وفى لفظ : شئت حتى أنزل لك عنها .

فيا ترى هل رأيت فى تاريخ البشر إيثاراً أعلى منه ، وكان يكفى أن يناصفه فى مالـه وزوجتيه ، ولكن انظر إلى كلمة : أيهما أعجب إليك، وإلى قوله : أيهما هويت ، ثم انظر إلى استغناء عبد الرحمن بن عوف وترك حقه ودعائه له بالبركة ؛ فانظر إلى هـذا الإيثار العجيب ، وإلى هـذا الاستغناء الغريب ، كأنهم ملائكة فى صور البشر ، ولقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول فى التنزيل العزيز : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسم ولو كان بهم خصاصـة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » الحشر (٩) .

وبالجملة : هذه ميزة للإسلام والمسلمين لاتجدها فى أى قوم من من أقوام العالم ، ولا فى أى دين من الأديان ، ولكن الأستاذ المودودى فى " تفهيماته " (٢ ـ ٤٧) مسخها وحقرها

وقام في هذا المقام ،قام رجل ليس في قلبه إيمان ينتقم من الإسلام والمسلمين، مزية لاتبارى وميزة لاتجارى من محاسن الإسلام ومن مفاخر الأنصار يجعلها الأستاذ المودودي عادةً إسرائيليةً رائجةً في اليهود ، ويقول هو : منهم أخذ الأنصار هذا الأدب السارى بينهم ؛ فيقول ما ترجمته اللفظيـــة : لم يكن عيباً في بني إسرائيل لو طلب أحد من آخر أن يطلق زوجته حين أحبها وهواها ولا يسوؤه ذلك بل يعدُّ ذلك من مكارم الأخلاق ، فيطلقها ويزوجها آخر ، وهذا الخلق اليهودي أثر في بيئة أهل المدينة من الأنصار حتى إن بعض الأنصار من أجل هذا استعدوا لتطليق أزواجهم وإنكاحهم من إخوانهم المهاجرين اه .

انظر يا رعاك الله ! كيف جعل هذه المحاسن الإسلامية آداباً يهوديةً رائجةً بينهم ؛ فلا إيثار ولا مأثرة ، ولا إحسان ولامكرمة، إنا لله وإنا إليه راجعون؛ فيدعى أن داود عليه السلام لو أحب زوجة أوريا وهواها ، وتمنى واقترح من أوريا أن يطلقها لكى يتزوجها فليس هناك مسبة ولاعار حيث كانت هذه الآداب وهذه العوائد ساريةً في معاشرة اليهود؛ فيسلم تلك القصة الإسرائيلية ويصدقها ولكن يخففها تنزيهاً لساحة النبوة ويقرب إلى الأذهان استبعادها ، هذا هو تفسير الأستاذ المودودي، وهذا هو " تفهيم القرآن " للمودودي ما لايضاهيه تفسير ولاتفهيم ، نعم لايضاهيه تفسير في العالم في هذه الفظائع .

فهل الأدب الإسرائيلى أثر فى طبائعهم فاستعدوا لتطليق الأزواج ؟ ! أو انقادوا لذلك لأجل عقد المؤاخاة طلباً لرضى الله ورضى رسوله ؟ وهل كان فى اليهود مناصفة الأموال والحقول والمزارع والبيوت والـــدور حتى استعدوا لتنصيف المساكن والبيوت ؟ ولما ذا تعامى عن أحاديث المؤاخاة وتاريخ الإسلام فلم يشر إليه بل اقتنع بذكر أدب اليهود وخصائلهم وجعل إيثار المسلمين لأجل اتباع اليهود فى عوائدهم وعشرتهم؟ ! فيا حسرتى على هذا الفهم الخاطئ ويا أسفى ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومنها : ما يقول فى " تفهيماتـــه " (٢ - ١٢٢) من الطبعة الخامسة : إن قوله : « اجعلنى على خزائن الأرض » ما ترجمته : ليس مراده كما يفهمه بعض المفسرين أنه اقترح أن يكون وزيراً للمالية فى المملكة فحسب بل كان اقتراحاً ومطالبةً للدكتاتورية ، ولفظه :

بلكه يه ڈكٹيٹر شپ كا مطالبه تها ـ

فحصل لسيدنا يوسف من الاقتدار والسلطة ما يقرب مما حصل لمسولينى فى إيطاليا، ويقول: إن مسولينى كان حياً يرزق عند ما كان حصل له الدكتاتوريـــة المطلقة غير أن ملك إيطاليا لم يكن يوافق فى العقيدة مسولينى وكان تحت سلطته مجبوراً مقهوراً وملك مصر كان يوافقه فى المعتقد .

وفى هذا مؤاخذات :

أما أولاً : فتشبيه نبى صالح من الأنبياء بمثل رجل جبار من أظلم خلق الله فى أرباب السلطة كمسولينى فى إيطاليا فى غاية الشناعــة ، وتاريخ العصر الحاضر يعرف مسولينى وهتلر بما لايماثلـه أحد من الملوك والجبابرة فى القسوة والجفوة ، وقد قصر تاريخ البشر عن تقديم أمثالها فى القسوة والهمجية .

وأما ثانياً : فهل يمكن أن يكون نبى من الأنبياء يستدعى ويحب أن يكون مختاراً مطلقاً فى المملكـة يفعل ما يشاء من غير مسئولية أمام الله ويوم الحساب .

وأما ثالثاً : فكل ذلك يدل على أن الأستاذ المودودى لا يحترم فى قلبه منصب النبوة والرسالة وإنما يدركه كأنه منصب من المناصب الدنيويــة وسيلــة للاقتدار والسلطان والحربة والاستقلال ؛ فرحم الله من أنصف وأدرك هذه الحقائق الشرعية والمناصب الدينية ؛ فتعالى الله الملك الحق من أن يبعث نبياً جباراً ظالماً فى البلاد ، صاحب سلطة واستبداد . لا يكون عليه مسئولية أمام القانون والجمهور ، مع أن الأنبياء والرسل يكونون من أتقى البشر وأرحم الناس وأرأف الخلق ، ولهم عواطف كريمـة مع الأمـة وإن كانت تتفاوت المراتب ؛ فهم أرفع وأعلى من أن يتشبهوا بالجبابرة من الأكاسرة والقياسرة ، ويجب حسن التأدب فى التعبيرات بالأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ومنها : ما يقول فى سيدنا موسى عليه السلام فى كتابه " رسائل ومسائل " (ص - ٣١) الطبعة الثانية ، وفى مجلته " ترجمان القرآن " عدد مايو ويونيو ويوليو وأكتوبر من سنة ١٩٤٤ م ، وفى " ترجمان القرآن " (ص - ٥ ، ج - ٢٩ عدد - ٤) ما تلخيصه : أن موسى عليه السلام ارتكب معصيةً كبيرةً قبل نبوته بأنه قتل رجلاً ولما عاتبه فرعون على ذلك القتل فاعترف بقوله : « فعلتها إذاً وأنا من الضالين » ويقول : إن مثل موسى كفاتح عجول يقتحم فى الأمام من غير أن تتمكن سلطته ، فيتقدم إلى الأمام ووراءه يشتعل الفساد والبغى ناراً فى الفلاة والصحراء إلى آخر ما قال .

ففيه نسبة إلى حضرة موسى عليه صلوات الله وسلامه بأنه قاتل نفس ، وأنه فاتح غير مدبر مستعجل ، وأنه ضال ، مع أن القتل كان خطأً وليس بعمد ولا أراد قتلاً ، وليس معنى الضلال ما يرادف الكفر والغىّ ويخالف الرشد والهداية ، وقد أوضحت سالفاً أن الكلمات فيها اشتراك لفظى ، ووقع التعبير فى التنزيل العزيز فى سيد الأنبياء وإمام المتقين عليه صلوات الله وسلامه : « ووجدك ضالاً فهدى » ومن ذا الذى يقول - والعياذ بالله - بضلاله بالمعنى المعروف .

ومنها : ما يقول فى " ترجمان القرآن " عدد مايو ١٩٥٥ م (ص - ١٥٨) : إن الأنبياء مع كونهم مقربين ومقبولين هم

بشر وعباد يخطئون فى الرأى وفصل الأمور وليسوا بآلهـة ، بل يمرضون ويبتلون ويعاقبون ، ولفظه بالأردية :

حتاكه قصور بهى ان سے هو جاتے تهے، انهيں سزا تک ديجاتى تهى-

وفى حوار اللغة الأردية تعبيره فى غاية الشناعة ما مفهومه : أنهم تصدر عنهم تقصيرات فيجازون ويعاقبون أى بصدور تلك التقصيرات ، يفهم منه قارئٌ كأنهم يرتكبون جرائم فيجزون بها جزاءً .

فهذه التعبيرات وأمثالها فى حق الأنبياء الكرام صفوة عباد الله عليهم صلوات الله وسلامه بطبيعتها يحدث فى قلوب العامة أنهم كسائر أفراد البشر يصدر عنهم ما يصدر عن البشر كلهم لا اختصاص لهم ، وهذه هى الروح التى سرت فى تعبيراته فى حق الأنبياء ، والصحابة الأولياء ، وهم العباد المكرمون ، وعند ربهم محترمون .

ومنها : ما يقول فى " التفهيمات " (١ - ١٦١) الطبعة الخامسة ما لفظه :

اور تو اور بسا اوقات پيغمبروں تک کو اس نفس شرير کی رهزنی کے خطرے پيش آئے هيں ، چنانچه حضرت داود عليه السلام جيسے جليل القدر پيغمبر کو ايک موقع پر تنبيه کی گئی که : « لاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » إلخ .

ما ترجمته : دع هذا وإن الأنبياء ربما تكاد تضلهم هذه النفوس الشريرة ، ومن أجل ذلك نبه الله مرةً مثل داود عليه

السلام مع جلالـة قدره بقولـه : « لاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » الآية؛ فهذا يصرح بأن الأنبياء غير معصومين من شر النفوس مع أن أمثال هذه التعبيرات نظراً إلى جلالة قدرهم ورفعة مكانتهم يؤاخذون بخطرات ووساوس، يتلقون ما لايترقبون من قبيل تلقى المخاطب بغير ما يترقبه، ومثله كثير فى القرآن الكريم .

ومنها : ما يقول فى " تفهيمـه " من الجزء الرابع فى سورة " ص " فى تفسير قوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب » الآيـة ، بعد تفصيل طويل ، ويعده من أشد مشكلات القرآن ، ما ملخصه : إن ما ورد فى تفسيره فى حديث رواه البخارى ومسلم من عدة طرق (من حديث أبى هريرة) مرفوعاً : « لأطوفن الليلـة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس مجاهد فى سبيل الله تعالى ، ولم يقل : إن شاء الله؛ فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة وجاءت بشق رجل ؛ فقال ﷺ : « فوالذى نفس محمد بيده لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا فرساناً » .

فيقول الأستاذ المودودى : هذا الحديث وإن كان صحيحاً ولا يمكن الكلام فى صحة سنده ولكنه غير صحيح من جهـة العقل الصريح ؛ فالعقل ينادى بأعلى نداء أنـه لايمكن أن يقولـه رسول الله ﷺ هكذا ، وكل من يسعى فى إساغته حلاقم الناس فهو يجعل الدين مضحكـة للناس ، ثم جاء بتعبير لتصوير

الكلام تصويراً بلغ الغاية فى الشناعة والفظاعة ، يقول : وهل من الممكن أن يجامع رجل طول الليلة نحو إحدى عشر ساعة بالليل بتسلسل واستمرار من غير أن يتنفس فى البين ، يباشر فى كل ساعة نحو ست من الأزواج ؛ فهل هذا يمكن، كلا ثم كلا ، إلى آخر ما قال من تعبيرات شنيعة وتصويرات قبيحة وأسلوب منكر بلغ الغاية فى القباحة بما تقشعرُّ منه الجلود والقلوب ، نبى معصوم وهبه الله قوة أربعين رجلاً من رجال الجنة ، وكل رجل من رجال أهل الجنة موهوب له قوة مائة رجل كما فى الأحاديث ؛ فإذن هو موهوب له قوة أربعة آلاف رجل ، ثم هو نبى وملك حريص على الجهاد فى سبيل الله والقتال مع أعداء الله ، ويحب كثرة المجاهدين فى سبيل الله من أبنائه قبل جنوده ، يصوره هكذا فى أبشع صورة كأنه رجل مغرم بالمباشرة محب للذائذ النفس وشهوات الطبيعة ، مغلوب الفطرة ، فيا للعار ويا للشنار ! ! وهل يمكن إهانة لمنصب النبوة والنبى المعصوم فوق هذا ؟

ثم هو يكذب الحديث الصحيح الصريح فى أصح الكتب بعد كتاب الله ، لأجل عدم قبول عقله إياه، فيلعب بعقله وجهله بأمثال هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فأف لمثل هذا العقل السخيف الذى يتعقب حديث رسول الله ﷺ الصحيح ، ثم من العجيب أنه لم يأت هناك بشئ تنحل به العقدة ، وينحل به

الإشكال ، بل زاد الأمر غمة" فيقول : لعل رسول الله ﷺ حكى قول اليهود فى سليمان عليه السلام، فلم يفهمه الصحابة فرووه هكذا، وأنت تعلم أن الصحابة إذا أخطأوا فى فهم كلامه ﷺ وهم أذكياء الأمة فارتفع منهم الأمان ؛ فارجع ببصرك النافذ أيها القارئ فى هذا الكلام الغير المستساغ هل غادر الرجل شيئاً مما يكون وصمة عار ومسبة للنبى المعصوم بهذا الأسلوب المرذول والتعبير المخذول ، ونقد الصحابة فى عدم فهم الحديث ، والغلط فى الرواية ، فالله يهدينا وإياه .

وقد قلت وأقول : إن كلامه فى حق الأنبياء والرسل كلام كله فظيع لايستساغ ولا يتحمل،وكذلك فى حق الصحابة عليهم رضوان الله ؛ فهذا هو " تفهيمه " لاأدرى ولست إخال أدرى كيف يخفى على الناظرين المغرمين به أمثال هذه الأمور ؛ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ؛ فرحم الله من أنصف ، وانقاد للحق ولم يتعسف .

فقد اتضح كصديع الفجر أن الأستاذ المودودى ـ هداه الله إلى الحق ـ قد حط من كبار الأنبياء ؛ فحط آدم ، ونوحاً ، وإبرهيم ، وموسى ، ويوسف ، وداود ، ويونس ، حتى خاتم النبيين وحبيب رب العالمين سيد ولد آدم أجمعين ، عليه وعليهم صلوات الله وسلامه وتحياته إلى يوم الدين ، بكلمات قبيحة فى غاية الخطر ، وما قاله فقهاء الأمة وأعيان الإسلام وبحور العلم من الإمام أبى يوسف فى " كتاب الخراج "

والقاضى عياض المالكى فى " الشفاء " والحافظ شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيميـــة الحنبلى فى كتابـــه " الصارم المسلول على شاتم الرسول " الذى يتدفق فيه علمه الفياض كالبحر الذخار والغيث الصّيب المدرار ، وكلام تقى الدين الإمام السبكى الشافعى فى كتابه " السيف المسلول " من أقدم العصور إلى عالم الشام وفقيهها ابن عابدين فى تأليفه " تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام " ، وإلى إمام العصر المحدث الكشميرى فى كتابه "إكفار الملحدين فى ضروريات الدين" فكلماتهم بين يدى القوم لامعة ساطعة بالحق صادعة بالحكم معروفة فى كل رجل مسلم سبّ رسول الله ﷺ أو كذبه ، أو عابه أو تنقصه، أو سب نبياً من الأنبياء أو عابه، ذلك الحكم الشرعى الذى اتفقوا عليه وأطبقوا وأجمعوا؛ فمن شاء فليرجع إليه من هذه المآخذ ، وكلها مطبوع ما عدا كتاب السبكى .

وعسى أن تكفى هذه النظائر والأمثلة فى التبصرة والانتقاد فى هذه الفرصة القصيرة من " تفهيمه " و " تفهيماته " لأولى بصيرة ونصفة ، والله سبحانه ولى الأمور .

هذا؛ وصلى الله على حبيبه سيدنا محمد، وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى الصحابة والتابعين، وبارك وسلم إلى يوم الدين .

☆ ☆ ☆

الفهرس